١٦

سنة القلق!!

أريد أن أقف في هذا الجزء عند سنة القلق سنة (١٩٦٩) لاعتقادى أنها كانت في منتهى الأهمية.. والقلق عنصر خلاق ويختلف عن الوساوس.. فهو عبارة عن أطراف يبحثون عن حل وعن حقيقة وتصور لما هو قادم ولما هو جارٍ.

كنا بعد الصدمة في حاجة إلى تصور لما هو قائم من مسئوليات؛ لأن المعركة أثبتت أن هناك أشياء تستحق التغيير وتصورات مختلفة.. وأن هناك مستقبلٌ لا بد أن يكون على نحو يتسق مع ما حققته الثورة.. وأنا أعتقد أن مقياس نجاح أى عمل سياسى في أى بلد في الدنيا يرتبط بأن تكون جماهيره أقوى منه وشعبه سباق وأن يطل على ما وراء ما يقدم له.

في سنة (١٩٦٩) جرت حوارات في منتهى الأهمية.. فهناك من تصور في بيان ٣٠ مارس أنه لا صوت يعلو فوق صوت المعركة وأن هذه عملية خلق لحوار وهذا لم يكن صحيحا بالشواهد.. لأنه ما كان مطلوبا هو كل الحوارات النافعة للمعركة ولما بعدها.

وفي منتصف المعركة كان هناك مراجعة.. وفي ذلك الوقت كان هناك حوار محتدم.. جزء منه بين جماعة في الأهرام وأخرى في الاتحاد الاشتراكي ولكن الحوار كان أوسع من ذلك.. ونتذكر هنا لحظة مهمة وهي أن هناك جامعة يقظة وشباب نزل للشارع وتحرك وكان ناقدا لنظام هو ابنه.. لكن كان هناك جامعة حية سواء بطلابها أو أساتذتها.. وكان هذا الشباب مستعدا للنزول إلى الشارع حتى في ظرف حرب.. وأعتقد أن هذا معيار نبض الشارع وتحرك الجامعة وهي مسألة مهمة.

وفي ذلك الوقت كانت هناك معركة.. فلا يصح أن يكون هناك سر؛ لأنها تستدعي تعبئة شعب.. ولا بد أن تقال له الحقائق كلها ولا بد أن يكون شريكا.. فهناك مليون عائلة مصرية.. كل عائلة لديها مقاتل في ميدان القتال.. وعالم عربي متنبه لما يجري ونحن نريد للعالم العربي أن يكون موجودا في المعركة.. إضافة لذلك كنا نحتاج للإعلام العالمي.

كان في القاهرة وقتها ما يزيد على ألف مراسل وكلهم كانوا يتحركون.. ولكن لم يستطع أحد الذهاب إلى ميدان القتال.. ولكن خارج ميدان القتال الكل موجود والعالم كله يراقب ما يحدث.

ولما كنا نتحدث في الأهرام كنا مختلفين ليس على مصالح وإنما على أفكار ورؤى.. فلما كتب (توفيق الحكيم) بنك القلق لم يكن يريد وزارة.. ولما كتب (نجيب محفوظ) اللص والكلاب إلى ثرثرة فوق النيل لم يكن ينتظر وظيفة.

وهنا بالفعل كان موجودا اختلاف في الرؤى.. ولكن بعد ذلك جاء شعار لا صوت يعلو فوق صوت المعركة.. وأنا لا أعلم أن هناك مرحلة الحوار فيها زاد واشتد في هذا البلد مثل سنة القلق.. لأن القلق بطبيعته مختلف عن الوساوس والوساوس من الممكن أن تجعل الشخص يشك في سلامة موقفه.. وأن القلق يدعوه إلى أن يفكر.. معناه أن يبحث عن الطريق وعن الحلول.. والقلق يكون خلاقا خاصةً في أوقات الخطر.

ويجب ألا ننسى أن حجم القيادات التى كانت موجودة فالقطاع العام في ذلك الوقت لم يكن فيه مجموعة موظفين.. ولكن كان قطاع تعتمد عليه المعركة.. ولم يكن أحد يحصل على معونات في ذلك الوقت ولا معونة أمريكية ولا غير أمريكية وفي السلاح كنا ندفع الأقساط بانتظام حتى أثناء المعركة.. وكانت كل قوات البلد تتحرك وأنا لم أقل أنها ديمقراطية ولا الشروط ديمقراطية لكن كنت أقول ولا أزال أقول أن الضرورات تستدعى أن يكون هناك أصوات كثيرة تتحدث وهذه الأصوات تؤثر على صناعة القرار.. وأعتقد أن التعددية هى درجة من درجات الديمقراطية.

ولم يكن الجدل الدائر والاحتكاكات للأهرام وغير الأهرام.. فأتذكر ان الصحافة كانت من أهم الميادين التى تجلى فيها الاحتكاك.. كان يعتقد (عبد الناصر) أن البلد بالطبيعة اتجاهها يمينى ومحافظ وهو يريد باستمرار وجود جرعة يسار وحيوية أخرى من اتجاه لاتجاه مختلف وتحرك وأظنه في هذا.. ولا أتجاوز عندما أقول إن الشيوعيين لعبوا دورا سواء يعرفوا أم لا لدرجة أن هذا الدور أدى في مرة من المرات إلى أن خروشوف الزعيم السوفييتى يعطى ملاحظة لـ (جمال عبد الناصر) أنه يتم اعتقال الشيوعيين.. فرد (عبد الناصر) أن الشيوعيين يقومون بدور خلاق لأنهم يقومون بعملية خصوبة للحوار لأنهم يعطون رأيا آخر. فحزن خروشوف وقال له أنت تعتبر الشيوعية هى مجرد سماد لاستعماله للخصوبة.. ولكن في جزء من هذا كان شيئا من الحقيقة.

في سنة ١٩٦٤ وكان هذا قبل عام القلق حدثت مشاكل كبيرة في أخبار اليوم لأنه جاء قانون تنظيم الصحافة وتحدثت عنه وجاء مفوضون لأخبار اليوم وجاء الأستاذ أمين شاكر لأول مرة وحدثت اشكالات في أخبار اليوم.. وحدثت قضية لأحد مالكى أخبار اليوم ووُجهت له اتهامات وثبتت عليه للأسف ولست أنا من أقول هذا الكلام ولكن هذا تم التحقيق فيه وهو واضح فيه على أى حال.. ولكن هذا الكلام استُغل مع أخبار اليوم لأن أخبار اليوم مؤسسة كبيرة وقوية جداً وقادرة وبها أناس جيدون وأدوا أدوارا.. ودار أخبار اليوم أدت دورا كبيرا في الحياة الثقافية والفكرية بلا جدال ولكن لما جاء قانون تنظيم الصحافة و(جاء أمين شاكر) كمفوض عمل إشكالات.. ووجد أصدقاء بالدار.. وتوصلت أنا وغيرى أن يظلوا في جريدتهم وكانوا مستعدين للجلوس بكل

طريقة لكن هناك حرجا ومشاكل واحتكاكات ضرورية وغير ضرورية من طبيعة البشر.

وبعد حدوث الخلافات خرج (أمين شاكر) واتذكر وقتها أن ولائى للمهنة ولأصدقائى وللدار التى عملت بها وقمت بدور عندما تجاوز المفوض.

وعاد (مصطفي وعلى أمين) إلى أخبار اليوم بعد أن أقصاهم شاكر عنها وكل شخص في أخبار اليوم يعلم هذا ودخلت معهم أخبار اليوم.

وفي ذلك الوقت تم استدعاء الأستاذ (خالد محيى الدين)[1] رئيساً لمجلس إدارة أخبار اليوم وهواحد من الشخصيات المرموقة في هذا البلد وله اتجاه لا يخفيه.. وانضم لأحزاب شيوعية في ظروف كثيرة من حياته وكان رجلاً أميناً مع نفسه وعقائده.. وجاء أخبار اليوم وهى معقل من معاقل اليمين ومعه مجموعة من الشيوعيين وحدثت وقتها مشاكل بلا حدود.. وفي سنة ١٩٦٥ دون توقع وكانت جريدة المساء ينتشر فيها الشيوعيون.. وبعد أن ذهبوا إلى أخبار اليوم الواسعة الانتشار بدأت المشاكل الحقيقية..

---

(١) خالد مُحيي الدين ضابط سابق في الجيش وأحد الضباط الأحرار.. مؤسس حزب التجمع الوطني التقدمي الوحدوي حتى اعتزاله العمل العام... وُلِدَ في كفر شكر في محافظة القليوبية عام ١٩٢٢ تخرج من الكلية الحربية عام ١٩٤٠ وفي ١٩٤٤ أصبح أحد الضباط الأحرار والذين انقلبوا على حكم الملك فاروق سنة ١٩٥٢ وكان وقتها برتبة صاغ. ثم أصبح عضوا في مجلس قيادة الثورة.. حصل على بكالوريوس التجارة عام ١٩٥١ مثل كثير من الضباط الذين سعوا للحصول على شهادات علمية في علوم مدنية بعد الثورة وتقلدوا مناصب إدارية مدنية في الدولة.. وصفه جمال عبدالناصر بالصاغ الأحمر في إشارة إلى توجهات محيى الدين الماركسية.. وحينما دعا خالد محيي الدين رفاقَه في مارس ١٩٥٤ إلى العودة لثكناتهم العسكرية لإفساح مجال لإرساء قواعد حكم ديمقراطي نشب خلاف بينه وبين جمال عبدالناصر ومعظم أعضاء مجلس قيادة الثورة استقال على إثره من المجلس.. وآثر - ربما تحت ضغوط من جمال عبدالناصر - الابتعاد إلى سويسرا لبعض الوقت.. بعد عودته إلى مصر ترشح في انتخابات مجلس الأمة عن دائرة كفر شكر عام ١٩٥٧ وفاز في تلك الانتخابات.. ثم أسس أول جريدة مسائية في العصر الجمهوري وهي جريدة المساء. وشغل منصب أول رئيس للجنة الخاصة التي شكلها مجلس الأمة في مطلع الستينيات لحل مشاكل أهالي النوبة أثناء التهجير.. تولى خالد محيي الدين رئاسة مجلس إدارة ورئاسة تحرير دار أخبار اليوم خلال عامي ١٩٦٤ و١٩٦٥ وهو أحد مؤسسي مجلس السلام العالمي.. ورئيس منطقة الشرق الأوسط.. ورئيس اللجنة المصرية للسلام ونزع السلاح.. حصل على جائزة لينين للسلام عام ١٩٧٠ وأسس حزب التجمع العربي الوحدوي في ١٠ أبريل ١٩٧٦ اتهمه الرئيس السادات بالعمالة لموسكو.. وهي تهمة كانت توجه لعديد من اليساريين العرب في حقبتي السبعينيات والثمانينيات.. وفى السنوات التي سبقت اعتزاله السياسى رفض المشاركة في انتخابات الرئاسة في مصر ليقينه بأن الانتخابات لن تكون نزيهة يرى البعض في تخليه طوعا عن قيادة حزب التجمع مثالا للحكومة والمعارضة في أهمية التغيير وتداول السلطة.. نشر مذكراته في كتاب بعنوان "الآن أتكلم".. وهو ابن عم زكريا محيي الدين مؤسس جهاز المخابرات العامة المصرية.

فقال لى (عبد الناصر) إن رأيه أن يعهد إلى بمسئولية أخبار اليوم ولو لفترة مؤقتة حتى يستطيع أن يجد مرشحاً معقولاً لأخبار اليوم لأن هناك عناصر في التنظيم تساند أخبار اليوم لكنه في رأيه ما جرى تجاوز ما كان يقدره بصرف النظر عن أنه كان يريد جرعة يسار تنشط الحوار لكننى قلت له إننى موجود في الأهرام ولا أستطيع الجمع بين الاثنين ويبدو غريباً جداً الجمع بينهم.

الشيء الآخر أنه كان في بعض المرات منافسة بين الأهرام والأخبار وكثيراً كان يعتقد أنه سيكون محبطا لهذه المنافسة والتى كنت أعتقد أنها حية وضرورية لهذه المهنة.. والأستاذ (خالد محيى الدين) صديق وأنا لا أتصور أن أحل محله.. وكان مشروع الأهرام قرب على الانتهاء وأنا أعرف حدودى سواء في المهنة أو في السياسة.. وأنا أعمل صحفيا فقط ولا أريد شيئاً خارج هذا العمل. ففي يوم من الأيام عرض علىّ الرئيس السادات منصب نائب رئيس الوزراء سنة ١٩٧٥ وقال لى "انت معندكش طموح" فقلت له طموحى في السماء لكن كله داخل هذه المهنة.

وقلت لـ (عبد الناصر) إننى صحفي ولا أتصور أن أجمع بين شيئين متناقضين.. فقال لى لا يوجد حل سوى أن أذهب وبالفعل ذهبت لأخبار اليوم لمكتب (خالد محيى الدين) وكان متفهما للظروف.. وأنا كنت أريد أخبار اليوم في وضعها الطبيعى وكل ما أريده شيء مهنى وأنا جئت لأخبار اليوم.. ودخلنا في عام القلق ومشكلة احتكاك مع التنظيم.. فهم كانوا ينظرون للصحافة نظرة معينة وأنا كانت لى نظرة أخرى.

وما قمت به في أخبار اليوم أشياء استُغلت ضدى فيما بعد أول شيء قلت إننى موجود في الأهرام وهناك منافسة ولا بد أن يكون لأخبار اليوم استقلالها في عملها وفي ما تؤديه من رسالة مهنية.. وأول قرار أخذته هو تعيين الأستاذ (جلال الدين الحمامصى) وطلبت ورجوت جلال الدين الحمامصى.. وهو صحفي له قدره في المهنة.. أن يجيء مشرفا عاما على أخبار اليوم وهو صحفي قديم ومحترف وكان يدرس وقتها في الجامعة الأمريكية بعد أن أقصاه (كمال رفعت) وعمل في الجامعة الأمريكية.. وكان يدرس الصحافة.. وأرسلت له خطاباً قلت فيه:

"عزيزى الأستاذ (جلال الدين الحمامصى)

يسعدنى ان أعزز بهذا الخطاب اتفاقنا الذي تتولى بمقتضاه منصب مشرف عام على التحرير لدار أخبار اليوم.. وأنكم ستباشرون اختصاصاته وفق السياسة التى يرسمها مجلس إدارة المؤسسة وقلت له الراتب هو ٥٠٠٠ جنيه في السنة وهو راتبى أيضاً وكان أقصى حد للرواتب.

ووقتها كانت هناك أصول وحدود للرواتب فكنت أحصل على ٥٠٠٠ جنيه في السنة وكنت رئيس مجلس إدارة ورئيس تحرير وكاتب مقال أسبوعى ومخبرا صحفيا. وعرضت عليه وأعتقد أنه كان أفضل اختيار يُتخذ في ذلك الوقت.

الاختيار الثانى أخبار اليوم الأسبوعية وكنت أفكر في من أعرض عليه هذا المنصب فوجدت الأستاذ (إحسان عبدالقدوس).. وكان في روزاليوسف.. وكنت أعرف ظروفه وكنت متردداً في أن أعرض عليه الأمر.. وعرضت عليه ورحب وأرسلت له جوابا ليكون رئيس تحرير أخبار اليوم وطلبت منه أن يوقع بالموافقة إذا كان يوافق.

وبالنسبة لآخر ساعة فعرضت على الأستاذ (يوسف السباعى) وهو رجل له قدر وهو صحيح ضابط لكنه رجل دائما يتصل بالأدب والفكر والكتابة إلى آخره وترجيته أن يأتى رئيس تحرير آخر ساعة.. واعتبرت أن ما قمت به لأخبار اليوم من الناحية المهنية أفضل شيء من الممكن أن أقدمه.. الكارثة الكبرى في ذلك الوقت أن مصطفي أمين أرسل لى خطاباً من السجن وعليه تأشيرة السجن ويأتى من الداخلية.. وقال لى:

عزيزى (هيكل).. أول مرة أكتب خطابا لك ولكننى أكتب لك لأقول إننى فرحت جداً بتعيينك لمجلس إدارة أخبار اليوم وأهنئ أخبار اليوم بالاختيار الموفق وأنت تعلم أنه كان من أمنيتى أنا وعلى أن تعود لأخبار اليوم وأن تعود أخبار اليوم إليك.. ولعلك تذكر أننى اقترحت هذا الحل في وقت من الأوقات فإن هذا في رأيى خير حل لمصلحة أخبار اليوم التى نحبها جميعا" وفي نهاية الخطاب إمضاء مصطفي أمين والرقيب.. ولكن هذا الجواب وهذه التعيينات في هذا المناخ الذي فيه احتكاك صنع لى مشاكل بلا حدود ويمكن تصورها.

بعض الناس قالوا لى فيما بعد أننى أخطأت في الذي قمت به وأن هؤلاء الناس كلهم تغيروا وكلهم انقلبوا على ما كنت أفكر فيه. وأنا كنت أقول إن الناس لم يتغيروا ولكن الذي تغير هو النظام وطبيعة النظام تغيرت.

في العادة وفي أى ظروف الصحافة جزء من الحياة السياسية في أى بلد.. ومن الممكن أن تكون هناك صحافة مستقلة بالكامل إذا كان هناك برلمان حر بالكامل وإذا كانت هناك جامعة مستقلة بالكامل.. وإذا كان هناك قضاء مستقل بالكامل.. فلا أحد يتصور أن الصحافة وحدها تستطيع القيام بالديمقراطية إذا لم نفهم أننا جزء من الحياة السياسية في البلد جميعها وأنها جزء من أحواله كما تطورت إليه.. ووقتها لم تكن هناك الصحافة الخاصة وكانت وقتها وعد مرهون بالمستقبل.. والصحافة الخاصة أيضاً تحتاج إلى نظر؛ لأن قضية التعامل مع الرأى العام في اعتقادي الشخصى لا يمكن أن تكون مسألة حكومة أو سلطة ولا يصح أن تكون مسألة رأس مال فقط وهنا مطلوب أوضاع وتصورات مؤسسية لكن هذا موضوع آخر. لكن وفي ذلك الوقت كانت هناك صحافة يسندها القصر وصحافة يسندها الوفد وصحافة يسندها الإنجليز ولم يكن هناك غير ذلك إلا أشياء على الهامش.

وهنا لا بد أن يكون وراء الجريدة موارد وهذه الموارد وراءها أفكار وقوة ومصالح ولكن في هذه الحالة التى كنا فيها بوجود ثلاث قوى مؤثرة.. الإنجليز والقصر والوفد في الشارع الذي يمثل الرأى العام لا بد أن يكون هناك سند مع تنظيم الصحافة.. وحاولنا من خلال قانون الصحافة أن تكون هناك ضمانات من خلال المهنة والمؤسسات نفسها.. ولكن هذا لم يكن وضعا عاما لكننى استطعت أن أعمله في الأهرام في مرحلة من المراحل وفي أخبار اليوم.. لما دخلت الصحافة العربية المتحدة وانطبق عليها قانون الصحافة العربية المتحدة.

وفي التعيينات التى قمت بها لم أذهب للمجلس الأعلى للصحافة؛ لأنه لم يكن موجودا ولم أذهب لتنظيم سياسى.. ولكن بمقتضى المسئولية فأنا الذي أعين وأنا أقول من يأتى ومن لا يأتى.. على الرغم من أن هذا الموضوع جلب لى العديد من المشاكل.. فالناس لم تتغير فالذي تغير هو الوضع السياسى كله.

وباختصار في سنة القلق موضوع الصحافة وأنا موجود في أخبار اليوم حاولت أن يكون للناس وجود وجمهور الذين كان لهم وجود سابق في المهنة ولديهم قناعاتهم والتى تحكمها التزامات موجودة مقتضى قانون الصحافة العربية المتحدة في ذلك الوقت والذي قلنا فيه التزمنا بالدستور والميثاق.. وبعضهم بالفعل تغير وبعضهم أناس

هاجمونى وأنا مستعد أن أفهم مع تغير الظروف والأحوال من الممكن أن يهاجمنى أحد لكننى اتبع قاعدة عدم الرد على أحد وحتى هذه اللحظة لا أرد على أحد.. ومن حق أى أحد أن يتكلم.. وبعض المرات يحكى البعض عن وقائع لم تحدث معى وأنا لا أكذب وأترك للزمن والتاريخ ليؤكد الصحيح.. ومسألة الرد على الهجوم مضيعة للوقت أنا في غنى عنها.

ذهبت من أخبار اليوم.. وجاء بعدى الأستاذ (محمود أمين العالم) وهو أيضاً لا يخفي انتماءه السياسى وكنت قلقاً من هذه المسألة.. وكان أصحابه قوميين.. وهم والتيار الدينى.. فلا يمكن أن تقوم في مصر ديمقراطية إلا إذا سمعت أصوات اليمين الدينى واليسار العلمانى.

وكانت الأهرام طرفا موجودا في الحوار الوطنى.. الأستاذ (حلمى مراد) الذي كان وزيراً للتربية والتعليم.. وقد سمعته أثناء حركة الشباب وقدمته لـ (جمال عبد الناصر) ودخل الوزارة وأصبح وزيراً للتعليم لكن بدا وجود أشياء تحيط به أدت لسوء الحظ ليس فقط لخروجه من الوزارة ولكننا اُتهمنا.. وأنا أقول هذا لأول مرة ومعى محضر مجلس الوزراء.. ولأننا قدمنا (حلمى مراد).. يمت بصلة نسب إلى الأستاذ أحمد حسين.. ف(حلمى مراد) كان رجلا قانونيا متكلما وكنا سويا في السجن أثناء ١٩٨١ وتكلمنا في هذه الظروف وراجعنا بعضنا مرة أخرى.

وأجد (جمال عبد الناصر) وجه الكلام له في محضر مجلس الوزراء يوم ٦ يونيو.. أنه قبل الدخول لجدول الأعمال أريد أن أتحدث في موضوع بصراحة وأنا أعتقد أنكم هنا تقولون كل آرائكم وأتحدث معكم وأنا أعرف الحوار حول السياسة الداخلية والخارجية ومن يتعرض فيكم للضغط لا بد أن يخبرنى ونحن في مجلس الوزراء قصدت حقائق الموقف العسكرى والسياسى تبقى موجودة أمامكم.. وأنا أرى أن هناك أشياء تتسرب من هذا المجلس وهذا خطر في هذا الوقت.. خاصةً فيما يتعلق بما يجرى في ميدان القتال أو في شأن علاقتنا مع الروس.. ونوه على تسرب أشياء في بعض الجلسات وقال إنه ينظر في اتجاه الدكتور (حلمى مراد) وقد وجهت له بعض الأحاديث.

وحدث بالفعل أن (حلمى مراد) كان متحمساً ويتحدث مع (أحمد حسين) ولكن الكلام كان يخرج في صورة منشورات توزع في الجامعة وفي أماكن أخرى بما فيها

أشياء لا داعى أن تقال في الخارج خاصةً فيما يتعلق بالموقف العسكرى وبما يتعلق بالعلاقات مع السوفييت والتى فيها شد وجذب.. وهنا قضايا كان لا يجب أن تخرج وهنا استقال (حلمى مراد).. وحُسبت علينا هذه المسألة.

وفي مسألة القضاء وما جرى وما سمى بمذبحة القضاء سنة (١٩٦٩) وهنا مشكلة موجودة في القضاء ولا تزال موجودة.. ويحدث في القضاء أشياء كثيرة جداً وأنا أحترم القضاء.. و(جمال عبد الناصر) مثله مثل أى فلاح ومثله مثل أى صعيدى يعرف معنى قيمة العدل في هذا البلد وهى مرتبطة بحياته في توزيع المياه مياه النيل من أول التاريخ.. ففرعون كان يستمد جزءاً كبيراً جداً من شرعيته من عدالة توزيع المياه على الأرض وعلى الفلاحين.

ووجدت مرة الرئيس (عبد الناصر) في حيرة بعد أن جاء له جواب من (الملك سعود) في ذلك الوقت ولجأت إليه السيدة ناريمان صادق زوجة الملك فاروق تطلب الطلاق من شخص تزوجته بعد الملك فاروق وكتب الملك سعود جوابا لـ (عبد الناصر) أن يساعدها في الطلاق وأنها قضية موجودة أمام المحاكم.. فلم يتصور (عبد الناصر) كيف يتدخل في حكم المحكمة.. ووقتها لم تكن هناك أراضٍ ولا مصالح من التى توزع وكان هناك مسائل وآراء واضحة واختلافات وأخطاء ولم تكن المصالح الشخصية موجودة.

وكنت أحترم المستشار ممتاز نصار والذي كتب لى مذكرة طويلة ووضع معها مذكرات للسيد على صبرى في جريدة الجمهورية تتحدث عن القانون وأنه لا بد أن تتفق مع حركة المجتمع وتتفاعل معه والقضاء.. وكان من بينهم مقال مهم حول مشاركة رجال العدالة في العمل السياسى.. ورأى ألا يدخل التنظيم لا في القوات المسلحة ولا في القضاء.. وكان هناك غضب بين القضاة لوجود محاولات من محمد نصير وزير العدل في ذلك الوقت أن يكون هناك تنظيم سرى في القضاء.. وذهبت لـ (عبد الناصر) بمذكرة (ممتاز نصار) والكلام الموجود.. ولكن (عبد الناصر) كان يعانى من مشكلة صحية وسأتحدث عنها فيما بعد.. وشكلت لجنة برئاسة السادات وبها على صبرى ووزير العدل وبعض الناس.. واتخذت هذه اللجنة قرارات بإقصاء بعض القضاة.. وأنا كنت من أحد الناس غير المتحمسين لهذا.

طلبت (جمال العطيفي) وأتى لى في الإسكندرية مرة وسمعت منه المشكلة عن القضاء.. وما يجرى في القضاء وكان معى موعد في نفس اليوم مع (جمال عبد الناصر) في المعمورة.. وطلبت من (جمال العطيفي) أن يأتى معى وينتظرنى في السيارة لأنه تحدث معى في السيارة وأنه يريد أن يسمع منى كل شيء في القضاء.. واستمعت للعطيفي ودخلت لـ (عبد الناصر) وقلت له على ما سمعته عن القضاء في ذلك الوقت.. وأن الموضوع يقتضى تدخله وكنت أتمنى أن تسمع ما سمعته من العطيفي.. فقال لى إنه ليس لديه مانع من أن يسمع منه وطلب منى حضوره ودخل العطيفي وتحدث وانضم لهذه اللجنة.. وأمكن تحديد هذه الإجراءات.. وأنا هنا معى صورة وثيقة لاستقالة وزير العدل.. وكتب وزير العدل استقالته في ورقة واحدة قال فيها: السيد رئيس الجمهورية أرجو التفضل بقبول استقالتى.. لأن موضوع التنظيم السياسى في القضاء وقف وهنا حوار وجدل مع التنظيم وخارجه.

وقد أتى لى الكثيرون من القضاة مثل (صلاح غزالة).. (حلمى قنديل).. (سليم عبدالله).. (يحيى رفاعى).. (فتحى نجيب) كلهم قابلونى ونقلت وجهة نظرهم. وفي ذلك الوقت كان هناك ضيق شديد للغاية مما نقوم به وبدا هناك تحريض شديد. ففي مرة كتبنا عندما أثار (جمال العطيفي) في اجتماع تحريرى في الأهرام موضوع هام وهو وجود قوانين تنشر بأثر رجعى ومن غير تاريخ في الوقائع الرسمية فقلت له أن يكتب هذا في مقاله في الأهرام.. الأمر الذي أثار غضب التنظيم.. وكان وقتها (عبد الناصر) في فترة نقاهة ومعه على صبرى ومعه حسين الشافعى وأنور السادات.

بالنسبة لطبائع البشر هناك التأثر والتأثير ونحن من الممكن نكون قد أفرطنا في مرة أو أخطأنا.. فمرة عاتبنى (عبد الناصر) يوم انتخابات اللجنة العليا للاتحاد الاشتراكى وكان هناك ثلاثة من أصدقائى وهم (سيد مرعى وعزيز صدقى وحسن عباس زكى) يريدون ترشيح أنفسهم في اللجنة التنفيذية فسألونى فقلت لهم إننى لا أعرف.. وأنا شخصياً لا أنصح لأن التنظيم سيكون له رأى.. ودخلوا الانتخابات وسقطوا جميعا لأنه كانت هناك قوائم بمن يريدهم التنظيم.. وفي هذا اليوم كنت موجودا في مبنى الاتحاد الاشتراكى مع سيد مرعى وعزيز صدقى وكان يريد الأخير الاستقالة رافضا ما حدث وأنه أهين.. وأنا في هذه اللحظة كنت مستفزا مع عزيز.. وفي هذه

اللحظة جاء السيد (شعراوى جمعة).. فقلت له بهزار أنا لو موجود غداً في الأهرام سأكتب عنوانا: "نجح على صبرى وسقط بيان ٣٠ مارس".. وعند وصولى للمنزل وجدت الرئيس يطلبنى فاتصلت به فقال لى إنه زعلان منى بسبب كلمتى وهى نجح على صبرى وسقط بيان ٣٠ مارس.. فقلت له إننى قلت ذلك وأنا أتأسف وأننى سببت الحرج في ظرف أن هناك معارك مستمرة.

وعندما نُشر مقال (العطيفي) وجدت الأخير غير موجود وجدت أنه اعُتقل وهناك تحريض.. فالرئيس كان موجوداً في القناطر ونتصور ما الذي يمكن أن يحدث.. وأن هذا بدا لو أنه اتهام للنظام بالتزوير.. واعتقل (العطيفي) في ثورة غضب لم يكن لها لزوم لكنها في ذلك الوقت من طبائع البشر.. ولما اعتقل (العطيفي) تحدثت مع (شعراوى جمعة).. وزير الداخلية.. سألته عن (جمال العطيفي) قال لى تحدث مع الرئيس.. وقال لى إنه لم يتم اعتقاله بالأهرام ولكن على سلالم وزارة العدل.

❖❖❖

ولم يشأ عام القلق كما سميته أن يرحل إلا وقد أصابتنا صدمتان.. إحداهما في الربيع.. والأخرى في الخريف. الصدمة الأولى وقعت في ٩ مارس سنة (١٩٦٩).. وبها تحول عام القلق إلى "عام الفزع" على حد تعبير الملكة (إليزابيث) ملكة انجلترا..فهذا اليوم "٩ مارس" الذي استشهد فيه الفريق (عبدالمنعم رياض).. وهو الرجل الذي يملك الكفاءة.. وكانت لديه الرؤية والتكليف أن يخوض معركة عبور القوات المسلحة المصرية في الحرب عندما يجىء الموعد.

وكانت في اعتقادى صدمة كبيرة جداً ففي ذلك اليوم كانت المرحلة الثالثة من حرب الاستنزاف.. وكنت قد تحدثت عن المراحل الأربع لحرب الاستنزاف قبل ذلك وكانت هناك معركة على الجبهة وضرب في العمق لغارات قامت بها إسرائيل لتتخلص مما بدا تفوقا ملحوظا ومؤثرا على الجبهة وهناك معركة دبلوماسية في الخارج والمعركة السياسية الداخلية.

معركة ميدان القتال كانت هى المستحوذة على كل اهتمام الناس في واقع الأمر وهى المعركة التى لها الأولوية.. وفي يوم ٨ مارس كانت المرحلة الثالثة من العمل المصرى وكانت هناك عملية كبرى تضمنت ضرب المدفعية مع عبور دوريات وأظن أنها

كانت ناجحة.. وهنا أتحدث عن درجة محدودية القتال.. فالإشارة الملتقطة باللاسلكى بعد حل شفراتها يفيد أن قائد مدرعة إسرائيلى أبلغ عن ٢٧ قتيلا في وحدته وأبلغ كذلك عن عشرات الإصابات.. وعندما تلقى (عبدالمنعم رياض) هذه البلاغات قرر الذهاب لميدان القتال في اليوم التالى لأسباب لا أعلمها.. وبدا لى أن (عبدالمنعم رياض) أراد نتائج أكثر من ذلك فقرر الذهاب بنفسه ليرى المواقع وآثار الضرب.. ويسمع التقارير ويرى العملية بنفسه.

وكان رياض من القادة الذين يفضلون الوجود باستمرار بين جنودهم.. ورغم أنه كان رئيس هيئة أركان حرب وليس مطلوبا منه أن يذهب كل يوم إلى الجبهة.. إلا أنه كان حريصا على أن تشعر قواته بوجوده.. وذهب ظهر ذلك اليوم إلى الجبهة وراح يتفقد بعض المواقع.. وقيل إنه تحدث مع الضباط حول نقطة مهمة وهى أن الإسرائيليين يضربون عشوائيا لأن أى ضربة تصيب أهدافا مدنية أو عسكرية.. وأننا نحتاج لدقة تصويب أكثر لأن العدو أمامنا.. ولأنه هنا يضرب جامعاً.. أو مصنعاً وحيثما يضرب يصيب هدفا.. وحدثهم عن دقة التصويب والنتائج لأنه لم يكن راضيا عنها.

كما أراد الاطمئنان على دورية المدفعية التى كانت خلف خطوط العدو.. وأثناء وجوده على خطوط الجبهة.. قال له أحد الضباط "ألا تريد أن تلقى نظرة على وحدتنا.. فوافق (رياض) كما روى لى.. وكان تعليم (عبدالمنعم رياض) أجنبيا وفي إنجلترا.. فقال بالإنجليزية إنه "يوافق بكل الوسائل".. وفي هذا الموقع بالتحديد سقط صاروخ وأظنه لم يكن مصوبا عليه.. ليستشهد (عبدالمنعم رياض) في نفس اللحظة.

جاءت البلاغات للقاهرة بإصابة (عبدالمنعم رياض) واستشهاده ولم يصدق أحد الخبر لكن أكده أناس من الجبهة.. وكان معه اللواء عبدالتواب هديب واللواء عدلى سعيد وأحدهما تعرض لإصابات طفيفة.. وأدى تفريغ الهواء لاختناق في الرئة ليستشهد رياض في لحظات. وأرسل اللواء عدلى سعيد بلاغا للرئاسة يفيد باستشهاد (عبدالمنعم رياض) وكان هناك اجتماع فقال الفريق (فوزى) إن إعلان خبر استشهاد (عبدالمنعم رياض) قد يكون مصدرا لسعادة العدو لأنهم أصابوا قائد أركان الحرب.. واقترح الفريق (فوزى) أن يقال إن (عبدالمنعم رياض) راح ضحية حادث.

ولكن كان رأى (عبد الناصر) مخالفا وقال إن (عبدالمنعم رياض) يستحق كل التقدير.. وليشمت الإسرائيليون كما يريدون لكن عبدالمنعم رياض.. كان قد استشهد فمما يشرفه ويشرف القوات أنه اسشتهد في ميدان القتال وأى كلام عن حادث سير لا بد من استبعاده".

وعندما بلغنى شخصيا خبر وفاته لم أكن لأصدق فقد كنت قريبا منه جيدا وكان (عبد الناصر) يعتبره قائدا للمعركة المقبلة.. وكان الفريق (فوزى) وضع للتنظيم ورياض الخطة وقيادتها.. وكان قد وضع الخطة أو الخطط الأولى على أى حال وهيكلها الرئيسى.

وكنت أعتبر أن (عبدالمنعم رياض) بالفعل مؤهل وأنا كصحفي لدى فكرة عن ميدان الحرب وقابلت عدداً كبيراً من القادة.. وأنا كنت أرى أنه بالفعل مُهيئاً لأن يقود الحرب ولأسباب مختلفة عن التى كان يراها (عبد الناصر).. ولما بلغنى النبأ ـ وكنت أتابع ما يقوم به.. وتصوراته في الخطة المقبلة ـ وكان حالى في ذلك الوقت مشابها لبيت الشعر الذي قاله المتنبى :"طوت الجزيرة حتى جاءنى نبأ.. فزعت لآمالى إلى الكذب".

ولم يكن أحد ليصدق أن (عبدالمنعم رياض) رحل بهذه البساطة وبهذه السرعة.. وينشغل معظم العسكريين دائما بالتنظيم والقتال وفي المجال التكتيكى.. وقليل من يكون لديهم تصور استراتيجى.. فالثقافة المتعددة الجوانب التى تسمح له برؤية الحرب في مجال الصراع الإنسانى.. تختلف عن كونها اشتباكات صغيرة أو صراع دبابات وكان لديه "رياض" الرؤية التاريخية للحرب.

أول مرة رأيت فيها (عبدالمنعم رياض) كانت في نوفمبر سنة ١٩٥٧.. وكان الرئيس (عبد الناصر) مدعواً للمشاركة في الاحتفال بالذكرى الأربعين للثورة الشيوعية في موسكو.. لكن بعض الأسباب حالت دون ذلك ومن بينها انشغاله بقناة السويس.. الشيء الآخر أنه كان هناك تجمع عربى في السعودية.. وكانت مشاركة (عبد الناصر) في احتفالات الثورة الشيوعية تضايق من هو ضد الاتحاد السوفييتى.. وذهب (عبدالحكيم عامر) بدلاً من (عبد الناصر).. وقبل الرحلة بيومين طلب الرئيس أن أذهب مع الوفد يوم ٧ نوفمبر.. لأنه كان يريد منى نظرة سياسية وأن أقول هناك ما الذي حدث لأنه في ذلك الوقت كانت هناك تغيرات كبيرة في الاتحاد السوفييتى..

وكان خروشوف وبولجنين بدا يظهرا على القمة وبدا هناك وضع آخر للاتحاد السوفييتى..وعرف أن ماوس تونج سيذهب ليحضر الاحتفالات.. رغبة منه لرأب الصدع الصينى مع الاتحاد السوفييتى.. وبالتالى أصبح اجتماعا مهما.. إضافة إلى أن الكثيرين من العالم أيضاً سيحضرون.. وكان وقتها دور الاتحاد السوفييتى كبيرا في العالم خاصة في أفريقيا وآسيا.. وبين قدراته التكنولوجية خاصة في الصواريخ وإطلاق سبوتنيك إلى آخره.

طلب منى (عبد الناصر) أن أذهب مشيراً إلى أن العسكريين لا يعرفون التحدث جيدا وكان يقصد (عبدالحكيم عامر) بالتحديد.

وأول مرة قابلت فيها (عبدالمنعم رياض) كان في ٧ نوفمبر ١٩٥٧ في الطائرة.. ولم يلفت رياض نظرى.. وعند الوصول فضلت أن أكون بعيدا عن الوفد لأنه كان هناك تدافع على غرف الفندق وكان معنا رجل ينظم الوفد هو الضابط سيرجو تشفرلسكى.. فذهبت له وطلبت أن يساعدنى لأجد فندقاً آخر غير فندق أوكرانيا وهو من المبانى السبعة الشهيرة التى بناها ستالين لتكون رمزاً لما تصوره من عظمة الاتحاد السوفييتى الثقافية.. وكان "المبنى" ضخماً للغاية وعلى مساحة واسعة.. ورفضت النزول فيه وطلبت من تشفرلسكى أن أنزل في فندق آخر فقال لى إن هذا غير ممكن وأن هذا الفندق مخصص وأن الوفد العسكرى سيجلس فيه فقلت له أننى غير عسكرى وأننى لم آت مع الوفد بشكل رسمى ووجدت وقتها ضابطا واقفا بالخلف يريد تشفرلسكى.. فقال لى (عبدالمنعم رياض) أن لا أضيع وقتى معه لأن الترتيبات صارمة ولن أستطيع أن أخرج.

وفي ليلة نفس اليوم في مبنى وزارة الدفاع نظم عشاء للوفد المصرى العسكرى وكانوا راغبين في إكرامه وكان نجوم الحرب كلهم موجودون.. وأتذكر ما كنت أقرأه عن الجبهة الروسية في الحرب العالمية الثانية وأجد الأساطير مارشال كوينشكو ومارشال كونييف الذي قاد الدبابات إلى برلين مباشرة وأيضاً كوسوفسكى وكل مارشالات الاتحاد السوفييتى الذين نسمع عنهم في القصص..

وكان بجوارى مارشال راندیكو قائد القوات الجوية لكن وجدت (عبدالمنعم رياض) في الناحية الأخرى من نفس المائدة وحدث إشكال بينى وبين روندكو لأننى حاولت أن

"أتشاطر" عليه أكثر من اللازم.. وكان يشرب الفوديكا في كأس وطلب منى الشرب فاعتذرت ولم يكن يتحدث لغة أفهمها ولا أنا أتحدث الروسية.. وبعد ذلك "تشاطرت" عليه وكنت أشرب ماء في كأسى وفي المرة الثالثة أمسك يدى وقال "الضيف الذي بجوارى يغش" ثم تحدث معه (عبدالمنعم رياض) قليلاً ثم تأسف المرشال لى بعد ذلك.

وبعد العشاء طلبت من (عبدالمنعم رياض) أن يحكى لى ماذا حدث فقال لى؟ إنه شرح له ما الذي يمنعنى واكتشفت أن (عبدالمنعم رياض) يتحدث الروسية بطلاقة بجوار اللغة الإنجليزية التى تعلمها في مدرسة العسكرية "بلاركل" لثلاثة سنوات وذهب إلى كلية فونزى بعد حرب السويس مباشرة وبدا يدرس فيها وبدا يتعلم اللغة الروسية. وفي اليوم الثانى كانت هناك راقصة بالية شهيرة جداً هى إرى نيلوفا وهى أسطورة عالم الباليه وكانت ستؤدى رقصة وداعية على مسرح البلشواى وجلب لنا مكتب الاتصال العسكرى تذاكر قليلة.. لكن كان هناك على أى حال.. خيارا بين الذهاب للمسرح وكباريه شهر زاد.. وأخذت تذكرة لأشاهد إريدا إرينوفا وإذا أجد بجوارى في المسرح عبدالمنعم رياض.. فقلت له لم أكن أتصور أن ضابط جيش يهتم بمشاهدة إريدا إرينوفا فقال لى كلمة معبرة جداً .. "أنكم تضعون الناس في قوالب.. فما الخطأ أن يجلس ضابط جيش ويشاهد الباليه ويقدر من هى إريدا إرينوفا" فاعتذرت له.

وعدنا إلى الفندق بعد انتهاء العرض وتحدثنا عن الاتحاد السوفييتى ووجدته يقول لى تحليلا دقيقا لتناقضات المجتمع السوفييتى ولأسباب قوته.. قال لى "نحن رأينا صورة للباليه وأنا سأخذك لترى صورتين" وذهبنا إلى شارع جوركيه والذي فيه الفنانون والرسامون.. ثم ذهبنا لمحطة سكة حديد كييف وطلب منى الجلوس وأن ننظر إلى الناس وقال لى: "إذا أردت أن تعرف حالة الشعب فاذهب لمحطة سكة حديد" واستغربت ووجدت خطوط تفكيره.. ثم تحدثنا عن إسرائيل والصراع العربى الإسرائيلى وأظن أننى أجد واحداً من أوضح الناس فكراً في تصور إسرائيل ووجدت الخطوط الإستراتيجية في تفكيره. وقال لى الحرب في سيناء وحدها ولكى نصل لموقعها على الحدود أمامنا مسافات طويلة جداً والوصول إليها في منتهى الصعوبة.. وأن هذه القوات عندما تندفع سيبقى أمامها مسافة مكشوفة إما شمال غزة وإما شمال بيت لحم والخليل. وأنه إذا أردنا أن نقوم بمعركة حقيقية مع إسرائيل فلا بد من جبهة شرقية مع

إسرائيل.. والسويس تشعرنا بأهمية هذه الجبهة ويقول لى عن الحرب المقبلة "الصحراء مكشوفة أمام قواتنا والفراغ موجود إلى درجة الوصول لأهداف يمكن التمسك بها.. ومع تفوق الطيران الإسرائيلى ستبقى خطرة للغاية.. وهذا الأمر يتطلب أن يكون الجيش المصرى قادرا على عبور هذه المسافات بسرعة خاطفة وسريعة".

كان وقتها (عبدالمنعم رياض) عميدا ولم يظهر لى كضابط يتذوق الباليه أو يتجول بشارع جوركى لكن في نفس الوقت يذهب لمحطة كييف وينظر للشعب العادى ويدرك تناقضات الاتحاد السوفييتى.. وهو ليس رجلا تعلم فقط في إنجلترا وبدا يفهم دوره ولكن بدأ يقدر ويقول لى في ذلك الوقت إن الطيران هى نقطة التفوق الإسرائيلى ونحن نستطيع التغلب على هذه النقطة وأننا يصعب علينا اللحاق بهم ولكن من الممكن أن نلغى أثره بالصواريخ وأن الصواريخ هى سلاح المستقبل وهى شكل الحرب المقبلة وأن هذا هو أملنا في الحرب المقبلة ضد إسرائيل.. فوجدت أمامى ضابطا لديه ثقافة وفكر وكان لديه هاجس باستمرار الإسرائيليين.

ويوم استشهاد (عبدالمنعم رياض) كان الإسرائيليون يتابعون هذا الاستشهاد وأظنهم كانوا يتحسبون منه وأظنهم كانوا يخفون شماتتهم منه يوم رحيله.. ولكن نجد برقية من السفير الأمريكى المقيم بالقاهرة في ذلك الوقت يقول فيها إن سفيرهم في إسرائيل ريتشارد باركر سمع الجنرال ديان يسأل "هل يا ترى (عبدالمنعم رياض) وكل ما له من شعبية من الشعب المصرى.. إذا يأس من إمكانية معركة هل يمكن أن يقود انقلابا ويجمع البلد حوله ويقوده ضد (جمال عبد الناصر)؟" أظن أن ديان كان متفائلا لأن العلاقة بين الاثنين كانت قوية للغاية.

ومن أجمل ما قيل في وفاة (عبدالمنعم رياض) شعر كتبه نزار قبانى وكان ممنوعا وقتها من دخول مصر بسبب قصيدة كتبها.. وقال نزار في رياض.

لو يُقتلُونَ مثلما قُتِلتْ..

لو يعرفون أن يموتوا مثلما فعلت..

لو مدمنو الكلام في بلادنا يبذلون مثل ما بذلت..

يا أشرف القتلى.. على أجفالنا أزهرت..

الخطوة الأولى إلى تحريرنا أنت بها بدأت..

يا أيها الغارق في دمائه جميعهم قد كذبوا..

وأنت قد صدقت..

جميعهم قد هُزموا ووحدكَ انتصرت ..

وتحدثت مع (عبد الناصر) بعد عودتى من الاتحاد السوفييتى عن كل ما جرى وتحدثت مع عبدالحكيم ومن ضمن ما قلت له أننى رأيت ضابطا من نوع مختلف "عبدالمنعم رياض".. وبدأ يحكى لى عنه وأسمع منه أن (عبدالمنعم رياض) قضية أخرى. ولما جاء وقت مؤتمرات القمة سنة ١٩٦٣ ووقتها قامت إسرائيل بعمليات تحويل مياه الأردن.. فإذا ب(عبد الناصر) يرشح (عبدالمنعم رياض) رئيسا لأركان حرب القيادة العربية الموحدة والقائد على عامر.. وتحدث (عبدالمنعم رياض) على أهمية الجبهة الشرقية وأنها مقتل إسرائيل وقال أنه ليس مصادفة أن إسرائيل موجهة كل الجهد إلى الأردن وأن نشاطها المخبراتى مركز في الأردن بشكل واضح ثم بدأ (عبدالمنعم رياض) بالتنقل بين العواصم العربية ويذهب إلى كل الجبهات العربية وهنا يوجد قائد مرموق ومتميز ومختلف وكل المهام تتسق مع فهمه وكلف بمهام جزء كبير جداً منها عن الجبهة الشرقية.

وفي أزمة مايو ١٩٦٤ بدأت الأزمة في الكبر وسمعت أن (عبدالمنعم رياض) يريد الحضور ويتابع الجبهة بنفسه وبعد تعقد الأزمة.. وجدته عند محمود رياض.. وزير الخارجية.. في وسط الأزمة.. وكان متجهما أكثر من العادة.. فقال لى "محمود " أن (عبدالمنعم رياض) قام بشيء صعب.. وقرر العبور مع إحدى الدوريات الداخلة لكى ترى ما الموجود في الخلف وهو رئيس أركان حرب القيادة الموحدة.. وكان محمود رياض قلق لدخول (عبدالمنعم رياض) ووصوله بعيداً في منطقة العوجة ولمدة يومين غاب عبدالمنعم رياض.. ولما أخبرنى محمود رياض.. وأعلنت إسرائيل أنهم ألقوا القبض على دورية مصرية واعلنوا اسماء عساكر وضباط لم يكن هو منهم.. وفي اليوم التالى فجرا عاد عبدالمنعم رياض.

فقلت له لا أحد يفعل ما تفعله ولقد حبست زمنا فقال لى تعيش وتاخد غيرها.. فهو ضابط مقتنع بأن الوجود مع القوات بالغ الأهمية.. وحتى بعد ما جاء (عبدالحكيم عامر) والنكسة وبدأ الإعداد لعملية العبور بدا أن يكون باستمرار في كلامه أن

القوات إذا لم تشعر بأن قائدها معها فلا فائدة.. وهو يذكرنى بطريقته المندفعة برومیل القائد الألمانى الشهير وكان هناك تشابه بينهما.. وكان (جمال عبد الناصر) سنة ١٩٦٨ شعر بتعب ما وكان رياض بجوار فراشه ووقتها طلب السادات بأن يقوم الأطباء بالكشف عليه ومنهم الدكتور شازوف وكان وزير الصحة وأكبر الأطباء المشهود لهم في الاتحاد السوفييتى.. ورأيت (عبدالمنعم رياض) وقتها يتحدث مع (عبد الناصر) عن صحته فقال له إنه يريد أن يقول له شيئا.. خاصة أن رياض كان يشارك في اجتماعات حول الأسلحة والطيران السوفييتى.. ولكن رياض كان يتحدث عن خطة "الجرانيت" التى وضعها تقريباً قبل الاستشهاد وكانت تتضمن العبور تحت غطاء الصواريخ.. وفي أنواع الصواريخ وبالتالى هناك تصور واضح.. وبعد العودة كنت أقابله كثيراً وكنا نعلق عليه آمالا كبيرة ونجده "مرة واحدة أتخطف" في سنة القلق.. والتى بدت برحيله سنة الفزع.

صدمة أخرى أخذناها هذه السنة.. ففي يوم ٩ سبتمبر كلمنى محمد أحمد سكرتير الرئيس قال لى إننى مطلوب بسرعة وذهبت.. ووجدت أحدا هناك يوجهنى على مكتب سامى شرف.. ووقتها كنت أتابع تحركات (عبد الناصر) في الجبهة وكأنه يحاول تعويض غياب رياض وتقريبا أن هاجسه في ورقه وهو لم يكن يكتب كلمة العبور في ورق أنه في أول مرة تحدث عن القوات ويكتب كلمة العبور وضرورة سحبها من الميدان لتحصل على تدريب خاص لمدة أربعة أشهر.. وهناك ملامح خطة وعمل من المفترض القيام به. وعندما دخلت لمكتب سامى شرف لم أكن أتخيل وجود شيء متعلق بصحة (جمال عبد الناصر) وأنا أعرف أن لديه مشاكل الصحية منها السكر بعد ٥٨ ثم عانى من التهابات في القدم ونصحه الأطباء بأن يتعالج بمنتجع بالاتحاد السوفيتى وبالفعل ذهب وعاد وكنا نتصور أن المسائل انتهت.

وخلال فترة علاج (عبد الناصر) كنا مهتمين وننشر باستمرار ولم يكن فيها سر.. وكنا نتصور بعد عودته أن المسائل انتهت وتحت السيطرة.. دخلت غرفة سامى شرف ووجدت سامى.. وأنور السادات والفريق (فوزى) و(شعراوى جمعة).. وجاء بعدى أمين هويدى.. وقال لنا أنور السادات إن الرئيس أمر بتشكيل لجنة تتولى إصدار مهام الدولة

في فترة غيابه لأنه لديه إنفلونزا وسيبتعد لعدة أيام.. فلم أصدق هذا الكلام لأننى لم أدخل هذه اللجنة لأنى غير رسمى ولا علاقة لى بشيء.

وبعد قليل تحدث السادات مع (عبد الناصر) وقال لى سنذهب لنراه حتى تطمئن يا محمد وعندما صعدنا لغرفة نوم (عبد الناصر) كان جالسا.. فلم أصدق شيئا.. فقال له (عبد الناصر) "ما حدث أننى أصبت بنوبة قلبية".. وتدخل السادات وقال "لا يجب أن نعتمد على هذا الكلام ويجب أن نرسل للدكتور جورزوف".. وقال لى "ناصر" أنه يريدنى أن انضم لأقول لهم كيف يمكن أن يفكر في موضوع معين.. ولم يكن هذا الموضوع مطمئن وكان في ذهنى صدمة رياض في أول السنة وفي ذهنى رؤية (عبد الناصر) وجهده غير الطبيعى.. وكان يعرف بالخطط الأولى والتى سميت بالجرانيت وكان في ذهنى أن البلد في حرب والقائد المعد للحرب اختفي وها هو القائد السياسى الذي يقود المعركة.. يصاب بنوبة قلبية فقال لى "أنا لا أريد أن تقلق".. وكان يريد أن يسأل جوزوف "هل أنا صالح وقادر على القيام بمهام عملى؟".. وقال أنه يثق في الأطباء المصريين الذين أعطوه أدوية.. ويريد رأى جازوف كمحايد ليرد على سؤاله.

وكنت متخوفاً.. حيث فقدنا القائد العسكرى والآن القائد السياسى يترك موقعه لأسباب صحية ثم إلى أين؟.. وفي هذه اللحظات كنت أعتقد ان أنور السادات دعا إلى اجتماع هذه اللجنة لكى تبحث في موضوع "كيف يمكن أن يغطى غياب (عبد الناصر) لعدة أيام؟".. فقلت له يجب أن نعرف ما الموضوع أولاً.. فإذا كان الأمر سهلاً فيمكن تغطيتها أما إذا كان (جمال عبد الناصر) لم يعد قادراً على ممارسة مهامه.. فأظن أنه من الأفضل أن نعرف حقيقة هذه الوعكة.. فكل حالة من هذه الحالات تقتضى مقاربة من الناس..

وكان هناك جدول أعمال وقضايا للبت فيها.. وكانت القوات موجودة تؤدى دورها مع الفريق فوزى.. وكان (عبد الناصر) يقوم بمهام رئيس الوزراء أيضاً ونواب رئيس الوزراء كانوا يعملون.. ولم يكن أمامنا سوى الانتظار لمعرفة ما سيقوله جازوف.

وقال له (عبد الناصر): أنا لا أريد أن أكون جندياً هارباً لكن لا أريد ان أبقى في موقع قد لا أكون صالحاً للبقاء فيه وصحتى لا تساعدنى على اتخاذ القرار الصحيح.. وأريد منك أن تقول لى بكل أمانة وصدق إلى أى مدة يمكن أن تؤثر صحتى على عملى

وسلامة قرارتى؟ وطلب جازوف تحاليل.. وفي صباح اليوم التالى ذهب الطبيب إلى (جمال عبد الناصر).. وقال لنا إن الطبيب أعطاه شهادة بأنه قادر وأن صحته لا تؤثر على سلامة قرارته.. وهو لم يكن يتصور أن يهرب جندى من المواجهة بهذا الشكل.. وابتعاده في هذا الوقت عن صنع القرار في لحظة الأمة كلها تتطلع إليه.. وكانت العمليات قادمة وبالتقدير على أول سنة ١٩٧١ آخر الربيع.

وكانت هناك فرق مخصصة للعبور وأنا شخصياً نزلت وكنت مع شوزوف الذي كان مع الأطباء وسألته عن الرئيس فقال لى إنه لا يستطيع إخباري بالتفاصيل ولكنه يريد أن يقول إن مجرد سؤاله في هذه اللحظة "ما إذا كنت قادرا على أداء مهمتى".. يظهر أنه قادر على مهمته وأنه مستعد لها.. وأعتقد أن عنصر الإرادة عِندهُ سيعوض أشياء كثيرة.. وبدا هاجس صحة (عبد الناصر) يقلقنى..

❖❖❖